المفاهيم اللسانية والتعليمية عند الجاحظ وابن عربي

-قراءة في الأسس والمبادئ* -

جمعة نعامي[1] ، و إسماعيل سيبوكر[2]

[1] جامعة قاصدي مرباح كلية الآداب واللغات

tacwaallah30@gmail.com

[2] جامعة قاصدي مرباح كلية الآداب واللغات

dr.ismailsiboukeur@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/01/06 تاريخ القبول:2020/05/25 تاريخ النشر: 2020/06/15.

الملخص:

عندما نروم إلى قراءة التراث الفكري واللغوي العربي ؛ فنحن أمام جهد تأصيلي يقصد صياغة جادة للمصطلحات والمفاهيم التي نحن بصددها ؛ كما أن الأمر يتعلق بجزء كبير منه بالاطلاع على مفهوم العلم والمعرفة عند هؤلاء وطرق تحصيلها حتى تتبين لنا الأسس النظرية والمبادئ الإجرائية التي من أجلها صيغت هذه المباحث وتلك المفاهيم.

ونحن بصدد قراءة للمفاهيم اللسانية والتعليمية بخاصة مصطلح" التحدث" عند كل من (الجاحظ) و (ابن عربي)؛ فإننا في هذه الدراسة سوف نركز كذلك على مفهوم "اللغة" عندهما ؛ ومفهوم "النص" ، و"خطوات إنشاء الكلام" ؛ وطرق تحصيله ، واستثمار هذه الرؤى والمفاهيم في ميدان التعلم والاكتساب اللغوي .

الكلمات المفاتيح: التحدث ؛ اللغة ، النص ؛ إنشاء الكلام ؛ التعلم ؛ الاكتساب.

Abstract:

When we intend to read the Arab intellectual and linguistic heritage, we are facing a thorough effort that aims to formulate serious terms and concepts that we are dealing with; and the matter is related to a large part of it to see the concept of knowledge and knowledge of these and ways of acquiring them so that the theoretical foundations and procedural principles for which these are formulated are formulated for us. Detective and those concepts.

* المؤلف المرسل: جمعة نعامي ، الإيميل **tacwaallah30@gmail.com**.

We are in the process of reading linguistic and educational concepts, especially the term "speaking" by both Al-Jahiz and Ibn Arabi. In this study, we will also focus on the concept of "language" between them; the concept of "text" and "steps to create speech"; methods of achieving it, and investing these visions And concepts in the field of learning and language acquisition.

Key words:

Speaking ; language; text; speech creation; learning; acquisition.

1- مقدّمة:

بداية وقبل الدخول في صلب هذه الدراسة ؛ ينبغي والحال ما يتطلبه الحديث عن ملكة التحدث أو الكلام ؛ أن نبين أنَّ (الجاحظ) و (ابن عربي) هما من عصرين مختلفين[1] ؛ كذلك الأمر بالنسبة للتوجهات المذهبية المعروفة لديهم ؛ فالجاحظ مثلما هو مستقر في الدراسات والبحوث التاريخية معتزلي المذهب ؛ كما أن ابن عربي صوفي المذهب.

إنَّ الدراسة الوصفية الموضوعية لأي مجال معرفي تتطلب بناء معرفة ليست قائمة على الحكم بقدر ما هي قائمة على القراءة الواعية في مظان وأمات هذه الكتب ؛ وقد جردت الكثير من القراءات التاريخية لنصوص(الجاحظ) و (ابن عربي) أحكاما مبنية على مسالك[2] عديدة منها :

-إما أن تعتمد على ما مرت به هذه النصوص من قراءات عبر التاريخ .

-وإما سلكت مسلك قراءة النصوص في ضوء الأدوات المعاصرة أو الراهنة .

وفيما نعتقد أنَّ القراءة الوصفية والتطورية بالأحرى لموضوع "التحدث" في نصوص العلمَيْنِ عند الباحثين ؛ هي المسلك في تحري الدقة ، مثلما لا ننسى ما يعزز الآراء والمداخل- القارة في القراءات العديدة للباحثين اللغويين والنقاد- والتي تبدو قابلة للنقاش وموضحة للرؤية ومستوعبة للفكرة.

إنَّ مصطلح "التحدث" له العديد من المصطلحات التي تجاوره مثل الكلام ، والبيان ، وغيرها ، وهدفنا في هذا البحث تجريد وتوضيح الرؤية بين هذه المصطلحات ؛ حتى نستطيع أن نتبيَّن الأسس النظرية والمحاور الرئيسة ، التي يمكنها أن تسهم في تعلم اللغة واكتسابها ضمن طرائق التعليم اللغوية الراهنة.

2-الجاحظ ومسلك البيان :

يتضح مفهوم اللغة عند الجاحظ وتميز بالنظرة التوفيقية ؛ اللغة إلهام في البدء ثم تواضع بحسب حاجات الإنسان في الكون ؛ إلا أننا سنلتفت إلى عنصر آخر تتضح فيه رؤيته أكثر حول اللغة وهو مصطلح البيان ، وفيما يلي تفصيل لما قلناه:

2-1-مفهوم النص:

استخلص الباحث(بشير إبرير) مجموعة من الأفكار في إطار قراءته لمصطلح البيان عند الجاحظ ؛ وقد اعتبر الباحث أن البيان هو الكلام وهو النص ؛ وذلك لما عرف مصطلح البيان عند الجاحظ بأنه"اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان..."[3] .

وينوه على أن النص والبيان كلاهما يدلان على الظهور[4] ، وما يدل على ذلك النصوص التي يشير فيها الجاحظ لمصطلح البيان يجدها تتعلق بمفهوم أعمق ، مفهوم معرفي يلتقي فيه البيان مع الكون ومخلوقاته ؛ ومفهوم لساني يتعلق بما يوجهه الدليل من معاني ؛ وبما يحتويه من أساليب استدلالية حجاجية ، فدل مثلما ينوه (طه عبد الرحمن)[5] في موضع آخر على أن البيان هو الإعراب عما في الضمير ، وعلم البيان هو علم الإعراب عن البرهان ، وهذا يدل على أن البيان لا يضيق على البداية والنهاية لما هو مكتوب ، ولا على مجرد نظم للألفاظ بل يتعداه إلى البرهان والاستدلال.

2-2- أنواع الدلالات:

في هذه القضية أشار الجاحظ إلى خمسة عناصر في كيفيات الدلالة على البيان وهي باختصار[6]:

2-2-1-اللفظ : وقابلها بالإشارة كذلك ، وعكف الجاحظ على الاهتمام به ، أي وسيلة اللغة وآلة الإقناع وسلاح لإقناع الخصوم" وفهمك لمعاني كلام الناس ينقطع الصوت ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك والمعاون لك ما كان صياحا صرفا وصوتا مصمتا ..."[7].

2-2-2-والإشارة : " إن الإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن اللفظ "[8].

2-2-3-والعقد : ويعني به الحساب دون اللفظ والخط ؛ مثلما له دلالات عديدة في ضوء رؤيته الفكرية المعرفية[9].

2-2-4-والخط : التعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة(ولذلك جعل "الإنسان" الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه سببا موصلا بينه وبين أعوانه)"[10].

2-2-5- والنصبة: ويعني بها حال المتكلم أو السامع "والدلالة تنشأ بواسطة الدليل الوضعية التي تكون عليها الأجسام ، والتي بفضلها يتوصل الإنسان إلى استخراج المعنى الذي

يكن فيها.فهذه الوضعية أو الحال للأجسام هي التي تقوم مقام أدوات التعبير الأخرى كاللفظ والإشارة وغيرها"[11].

3-خطوات إنشاء الكلام : مراحل التكوين

عود على بدء نشير إلى قراءة الباحث (بشير إبرير)[12] لنص الجاحظ الذي استخلص منه الأفكار الآتية عن مراحل تكوين وإنشاء الكلام أو التحدث قائلا:

-المعاني قائمة في صدور الناس.

-متصورة في أذهانهم .

-مختلجة في نفوسهم .

-متصلة بخواطرهم .

-حادثة عن فكرهم .

3-1-مميزاتها:

-مستورة مخفية

-بعيدة وحشية محجوبة مكنونة

-موجودة في معنى معدومة

4-استثمار هذا الأسلوب في التعليم وفي تعلم اللغة واكتسابها:

تحمل هذه الإشارات أساليب مهمة في تعلم اللغة واكتسابها لأهلها ولغير الناطقين بها وذلك لأمور منها:

4-1-خصائص المعلم والمتعلم:

4-1-1- المتعلم :

رفع الكفاءة اللغوية وتحسين مهاراته الحسية والسمعية والحركية والبصرية ، وذلك من خلال أسلوب التدبر والتفكر.

4-1-2-المعلم :

وقد ركز الجاحظ كثيرا على المتكلم ؛ بوصفه منتج الكلام وناطقه ؛ وقراءة عامة تجمع الخصائص التي ذكرها الجاحظ في :

-الخصائص النفسية: مثل رباطة الجأش ، الصدق والإخلاص.

-الخصائص العلمية والمعرفية ؛ الخصائص المعرفية ؛ درايته بالنصوص المهمة ؛ مثل القرآن والحديث والكلام العربي ؛ من شعر ونثر وغيرها.

-الخصائص الاجتماعية: فقد عد الجاحظ اللغة قضاء للحاجات الإنسانية ، وشرطا من شروط التبليغ والتواصل ؛ وآلة لكشف الستر عن المعنى دون الضمير.

-الخصائص اللغوية: وتتمثل مثلما ذكر عبد السلام المسدي في الخصائص أو المقاييس الأسلوبية ؛ والحجاجية الاستدلالية ؛ وهذا ما تميزت به جميع كتبه ، مثل الرسائل ، والحيوان ، والبيان والتبيين.

وهي من الأساليب المعاصرة التي ينبغي أن يمتلكها المعلم في حديثه ، حتى يصل إلى تحقيق هدفه في التأثير الايجابي في المتعلم ، وتعرف في وقنا الحاضر بهندسة التواصل البشري أو البرمجة العصبية اللغوية[13].

4-2-نوعية النصوص التي ركز عليها الجاحظ :

إن اختيار النصوص في العملية التعليمية بشكل عام يشكل صلبها ، وقد وقعنا هنا على نصوص قائمة على أساس إنساني كوني ، وجمهرة من الخطب البلاغية عند العرب ؛ ويبدو أن الباحثين قد عللوا ؛ اهتمام الجاحظ بنصوص الخطابة وشروطها ؛ مجملها الاعتداد بالأسلوب الحجاجي والإقناعي ؛ لما شاع بين الفرق المذهبية آنذاك.

ومن مزايا النصوص أنها لا تقوم على فصل الواقع عن القاعدة أو مثلما يعرف بالطريقة الاستقرائية(التي تبنى على أساس القاعدة بعد إعطاء أمثلة شارحة) ،

4-3-الطرق البيداغوجية والتعليمية :

الطرائق المعاصرة تميل لعدم فصل التعليم عن الواقع ، وتروم لنقل أثر التعلم إلى الحياة بجميع مجالاتها ، والتي يعيش فيها المتعلم ، ومن بين الطرق التي استخلصناها ما يلي:

4-3-1 -التعليم النشط: وهو جزء من تطوير ما يعرف بالكفاءة أو تعامل المتعلم مع محيطه " والتعلم العرفاني هو بناء نشط للمواد العرفانية بصفة إستراتيجية انطلاقا من المعلومات من المحيط يولد منها المتعلم معارف جديدة يدمجها في المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة"[14] ؛ بل " ويضع افتراضات ، ويتخذ القرارات ، ويربط نتائج عمله بالبنية العرفانية ، وينظمها خطيطات ،"Sheema" نتائج ذهنية"[15].

4-3-2- الطريقة الحوارية والنقاش: إن المحتوى الحجاجي والاستدلالي للنصوص ، الذي يعتمد النقاش والحوار ،هو إجراء شفوي ومعرفي(قصة ، نقاش ، مثل ، حكمة...) ، بما هو بناء للفكر والترتيب المنطقي ، في المقابل يمثل الحوار والنقاش ضربا من تقريب هوة الاختلاف وقبول الآخر.

4-3-3- الطريقة التأملية: تهدف استراتيجيات التعليم والتعلم المعاصرة ، إلى تنمية سبل التفكير[16] ، وهو من الأساليب التربوية قبل أن يكون تعليميا ، وقد بينت ذلك نصوص فلسفة الجاحظ القائمة على البيان ضمن عالم الإنسان الصغير سليل العالم الكبير المتمثل في السموات والأرض والمخلوقات.

4-3-4-طريقة الأحداث الجارية: وتقوم على" ربط الدرس بحياة المتعلمين الواقعية من خلال الوقائع والأحداث التي يمرون بها بقصد استخلاص العبرة والعظة"[17]، وهذه الطريقة تجعل المتعلم جزءا لا يتجزأ من المجتمع الإنساني، وتساعده كذلك في تحديد ملامح واتجاهات المستقبل، بتفهمه مجريات وأحداث ماضيه و حاضره، وإيجاد حلول للمشكلات التي يتعرض لها[18]؛ والجاحظ في نصوصه التي يقدمها اهتم بالكثير من القضايا التي راجت مثل الشعوبية؛ والترجمة والفلسفة؛ والعلوم الإحيائية؛ إضافة إلى العلوم الإسلامية والتاريخ.

5--تكون مفهوم التحدث انطلاقا من المفاهيم السابقة:

اعتنى الجاحظ بمقتضيات الإبانة" كمال الآلة وإحكام الصيغة" ، وخصها في مجموعة من المبادئ والأسس وهي" الطبع والدربة ورواية الكلام، والعلم والمعرفة"[19]، وهذا الاعتناء بمقتضيات الكلام والإبانة، والمقام هو تعريف وظيفي راعى في جميع أطراف التحدث(المتكلم، الكلام، السامع)، ومما يميز نظرية الجاحظ في التحدث والكلام تفطنه للكثير من القضايا المتعلقة بأمراض النطق والكلام في تحليله للخطب المشهورة آنذاك؛ وهو بذلك عبقري زمانه ورائده عندما تحدث عن أمراض عديدة وأسبابها وكيفية معالجتها.[20]

6-ابن عربي وتكوين الكلام" التحدث":

6-1-مفهوم اللغة :

يتأسّى ابن عربي بالمصدر الأول وهو القرآن الكريم[21] ،كما هو الحال حول نشأة اللغة في الرأي القائل أنَّ اللغة إلهام وتوقيف من الله تعالى؛ واللغة عند ابن عربي لا تبتعد عن هذا الرأي ،إلا أنَّها تسير من الداخل إلى الخارج؛ أي من لغة الأعماق والمعاملات القلبية إلى لغة الشهود.

يعني ذلك أنَّ التسمية هي الأصل في تكوين هذه اللغة، ويصحُّ أن نسميها "المصطلح" ، لكنه ليس ترجمة لمفاهيم مجردة هذه المرة بل هو ترجمة لسلوك وعمل وينطبق عليها قول (طه عبد الرحمن)[22] بأنَّها تتميز بالمبادئ الآتية:

6-1-1-المبدأ الوجودي:لا يمكن نقل التجربة الوجودية من حيث هي تجربة نقلا لغويا إلاّ أن تترك أوصاف الوجود العالقة بها، وهذا ما يجعل الإشارة والعبارة تختزن تلك التجارب والأحوال.[23]

وعلاوة على هذه الفكرة فإن ابن عربي يشرح التجوُّزات-في مفهومه للغة- والتشبيه الذي يخصُّ اللغة لأنَّ المتَّجه للعبارة اللغوية قد لا يقع على المدلول الحقيقي بل تقرّبه، نظرا لتمايز اللغة ترميزها عن الوجود.

يمكن أن نلمح وعي ابن عربي هنا حول الطبيعة المتمايزة بين اللغة والوجود ، والصورة التشبيهية التي تسهم في تيهان القارئ إذا لم يكن حصيفا.

6-1-2-المبدأ الخطابي1: أي أنَّ الكلام يوافق مقتضى الحال ، والصوفي يأتي بالأقوال المناسبة للأعمال.

6-1-3-المبدأ الخطابي2:

إنَّ مقامات الكلام متفاوتة ، فلكلّ تجربة روحيَّة معرفة معينة وهذا فيما نعتقد أكبر مثال حول تكوّن المعرفة الصوفية ، بحسب الأحوال التي يلازمها الصوفي كالذكر ، لكي يرتقي من مقام إلى مقام ، ومن خطاب إلى خطاب ، وهذا عين الكشف ورؤية البصيرة.

من هذا الرأي نشتق رأيا آخر حول غموض العبارة الصوفية ، وتجردها نحو الإضمار" فليست كل دلالة غير مباشرة دلالة غامضة ، ولا كل دلالة غامضة دلالة غير مباشرة ،حتى يصدق في حق الصوفي أنَّ كلامه مستغلق على الدوام ، وليس الانتقال من الدلالة المباشرة إلى الدلالة غير المباشرة عنده انتقالا خارجا عن الطرق المعهودة في التخاطب العربي الطبيعي حتى يعدَّ كلامه ضربا من اللغو والعبث"[24].

لذلك فإنَّ الغموض الذي ينسب إليهم ناجم عن عدم مشاركة الصوفي أحواله التي تؤول إلى الذوق والتجربة القلبية وهو عند ابن عربي مرحلة "الكشف والشهود".[25]

فالسياق التداولي والمعرفي كفيل بأن يحرّك ذات المتلقي ، التي لا تخرج عن القدرات الخياليَّة ، والقدرات الذوقيَّة القلبيَّة والقدرات الحسيَّة ، والتَّجربة الحية والعمل ، فجميع هذه المقاييس كفيلة بأن تطرح هذه الإشكالية في عمق التحليل.

وعليه كان الإجمال والتفصيل هنا خاصيتين من خصائص اللغة الطبيعية ، وليس فقط أسلوب في الشكل التركيبي ؛ أي أنَّ اشتغال اللغة في الذهن يكون إجمالا ، أمَّا إذا عبَّرت اللغة تصبح بيانا(تحدثا) وتفصيلا بالألفاظ الواضحة ، وهنا مفهوم الصوفي هو مفهوم عميق لأسلوب القرآن الكريم ، الذي أنزله الله تعالى ليفهمه كافة الناس وإن كان من خصائص تعبيره ودلائل إعجازه " الأسلوب السهل الممتنع".

6-2-مفهوم النص :

ربَّما لا يَسعُ هذه الورقة العلمية بسط إشكالية مفهوم(النَّص le texte) في التراث العربي ، لتشعبها وصعوبة سردها هنا ، إلاّ أنّنا سنكتفي بما يخدم هذا العنصر.

كان ابن عربي على وعي كامل من حيث تجربته الكشفية مع الخطاب القرآني بالنَّص ، وكونه ابتدأ وصاياه-وهو آخر باب من كتابه الفتوحات المكية- بطريقة الصوفي الباطنية(المقدمة الإجمالية)، يفسر جوهر تحديد(مفهوم النص)، وملخصه أنَّ النص(إلهام

وإشارة)[26]، فيكون اللِّسان حينئذ بيانه وتفصيله الذي يترجم أحكامه ويبين مجمله، وهذا المفهوم انعكس على لغة ابن عربي، وصار عمودها الفقري، أي التأسيّ بلغة الوحي القرآني و الحديث النبوي، وصار البيان والإظهار مقصدا ومبلغا يسير فيه في أغلب الوصايا على سيرة الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا تغدو وظائف النص لا تتوقف على ما هو معهود "الانفتاح على المنشئ والمتلقي"، ذلك أنَّها لغة تخلق أشخاصا لا يفكرون بعقل واحد على حد تعبير (طه عبد الرحمن)، بل هناك" العقل الحسي والعقل الخيالي والعقل الوجداني والعقل الذوقي والعقل الروحي ".[27]، وهي ألصق ميزة من ميزات اللغات الطبيعية.

ولأنَّ المقاصد والأحوال سابقة عن تفصيل اللغة، فتقع التجربة في ضيق العبارة، ويستلزم على المتلقي حينها أن يشغّل أكثر من قدرة إدراكية، وإعمال أكثر من مقياس ؛ لغوي ودلالي وتداولي وذهني معرفي.

لكنَّها-اللغة- تبقى أداة للتبليغ وآلة للبيان (التحدث والكلام)" لأنَّ الله تعالى أخبر عمّن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة، فمن التأسي المأمور به برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن ننطق على تلك المعاني هذه الألفاظ النَّبويَّة، إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[28].

وهذا فيما نرى عنصر آخر يسهم في حلِّ جزء من الإشكال الذي يطرح حول المقاصد الإجمالية ؛ والمقاصد الموضعية: فهي ترميز للذهن بوَسَاطَةِ اللغة وهمنا عمق التنبه لخصائص اللغات الطبيعية ؛ إجمال ذهني قصدي وتفصيل لغوي بياني ترميزي[29].

3-6- خطوات إنشاء الكلام: مراحل التكوين

ذكر ابن عربي صفة **القلم العلوي**" الذي هو سلطان التدوين والتسطير ،لأنَّ الوجود في نظره " كتاب مسطور، وكل حقيقة فيه متفردة هي حرف، وكل حقيقة مركبة هي كلمة"[30]، لذلك فهي تشبه تماما حقيقة المتكلم باعتباره قلما والمتلقي هو الكتاب، فيجري فعل الكلام في المتكلم كما يجري فعل القلم في الكتابة.

القلم عند ابن عربي صفة الفعل"acte "[31]التي تؤثر في اللوح المحفوظ:" فالطلبة والتلاميذ للشيخ المتحقق . ..ألواح منحوتة لرقمه وكتابته"،[32] وعلى هذا قال" فلنذكر ما يسَّرَ الله على قلمي..."، وعلى هذا كانت "الحروف حقائق ما لها حدّ".

هناك إشارة مهمة حول الكتابة التي تأخذ بعدًا أنطولوجيا سابقا:

يُخطِّطُ القَلَمُ العُلْوِيُّ صُورَتَهَا عَلَى يَدِي دَائِمًا مَادَامَ لِي رَمَقِي

قد اختلف الكثير حول قصدية الكتابة [33]عند ابن عربي ، وفي قوله" إملاءات ربانيَّة" ، وهذا ما يفسِّر أنَّ القلم العلوي هو السابق في الكتابة ، فجاءت أقواله بأنَّ هذه المعارف الربانيَّة إنَّما هي إملاءات ، كان على المتلقي أن ينفرد بحكمتها ، وهي أن يكون منفعلا بالأوامر والمواعظ الربانيَّة.

6-4- الاكتساب والتعلم

يهتم ابن عربي بموضوعين بارزين نعتقد أنهما صلب العملية التعلمية التعليمية وهما" المعلم والمتعلم" ، ويمكن أن نجمل نظرته النفسية الروحية لخصائص كل منها فيما يلي:

6-4-1-المتعلم:

-المريد هو تحرير الإرادة من النفس وسلطانها للوصول إلى الحق.

-السالك الذي يحاول التقرب إلى الله بالنوافل والفرائض.

-خصائص متعلقة بالهمة في تلقي المعرفة.

-الإنسان الكامل ؛ وهي درجة قمة الامتثال والتلقي والتعلم.

6-4-2-المعلم :

يطرح ابن عربي في رؤيته الصوفية الكثير من الآليات التي ينبغي أن يتميز بها المعلم أثناء نقل معرفته وعلمه إلى متعلمه ومتلقيه وهي: البناء الروحي أولا والعقلي ؛ حتى إذا استقام له شخصية مستقيمة ، يأتي دور الإنشاء والخلق ، وهو ما سماه بالإنسان الكامل ، وقد عبر عن نقل الكلام من المتكلم إلى السامع بأسلوب دقيق جدا حين تحدث عن أسلوب الأمر " لما يثمره فعل الأمر من استجابة أو عدمها في علاقته بالمخاطب به ، فقد يأمر المتكلم زيدا فيقول له: (قم) فهذا المخاطب إن قام لأمره واستجاب لطلب المتكلم ، فقد أنشأ فعل التكلم(الآمر) حينئذ صورة القيام في زيد عن نشأة لفظة(قم) ، فهو إلهي في هذه الحالة ، لأنّ إنشاء الأعيان إنّما هو لله وهذا عام في جميع الخلق"[34].

وإن لم يمتثل للأمر فهو قصور في التواصل ، وتعطيل للانفعال ، وارتخاء عن الهمّة" ويعطينا ابن عربي مثالا على هذا التخلف في مبدأ التعاون من دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم(الإنسان الكامل).فقد اجتهد بالدعوة ، لكن ليس كل من توجه إليهم بالنصح انتصحوا ولا كلّ من خاطبهم بالتوحيد أسلموا"[35].

وقد لاحظنا أن طرائق التعلم عند الجاحظ تتركز عل الحوار والحجاج ، والتدبر وغيرها ؛ وفيه يلتقي مع ابن عربي إلا أن الفاصل بينهما يتمثل في النقاط التي نجملها كالآتي :

6-4-3-طرق المعرفة: إنَّ ما يمكن قوله إجمالا أنَّ الخيال عند ابن عربي يلعب دور الوسيط الناقل[36] لمعطيات الحواس إلى القوة المصورة في الدماغ التي تتكفَّل بالخلق والإبداع.

6-4-4-آلة الاستدلال: العلم والمعرفة متوقف على الكشف ؛ محلُّها القلب ؛ إذ الكشف هو التحقق بباطن الوجود ، وباطن الشريعة ، وهو كما قال الطوسي:"بيان ما يستتر عنه الفهم ، فيكشف عنه العبد كأنَّه يراه رأي العين".[37]، وإذ يمثّل العقل محلاً صقيلا من القلب ويسمَّى(النفس الناطقة) ، وحقيقة العقل عند المتصوفة تتوقف وظيفته في الاستدلال ؛ أي الربط بين المعطيات التي تأتي من الحواس.

7-خاتمة :

يمكن القول إجمالا أن تفطن علمائنا في الفكر اللساني العربي إلى مفهوم النص واللغة وطرق تكوين الكلام ينم على فكر ثاقب يستوعب الملكة اللغوية في أبعادها المعرفية والمنطقية والنفسية العقلية بل وحتى الوجودية ؛ وهذا دليل على أن علماءنا لهم الفضل بالنظر إلى المستويات البيولوجية وإن لم يكن هناك جزم ببعض القضايا النفسية مثل المعرفة ، والشعور والروح والمعاني وغيرها.

وهذا الفكر التراثي اللساني عند علمائنا يتطلب قراءة واعية لا تقصي الآخر ؛ ولا تكتفي بمجرد القراءة السطحية ؛ بل يجب أن تتمسك بألأدوات المنهجية والمعرفية الواضحة قصد بناء تصور متماسك للنظرة التراثية في مجال اللغة والفكر بوجه عام ، وهو القاعدة المتينة والمحور الأساسي في بناء أي نظرية خاصة باللغة ، أو نظرية خاصة بتعلمها ، وقد تبن لنا من خلال هذا التوضيح البسيط الذي نعتقد في نظرنا أنه وجه الرؤية لطبيعة اللغة بما هي ملكة إنسانية غير منفصلة العلاقة بمتكلمها ؛ تستدعي من أي باحث يروم إلى بناء نظرية تتعلق بتعلم اللغة واكتسابها أن يبني رؤيته على ضوء هذه المفاهيم "علاقة اللغة بالإنسان"و " علاقة اللغة بالإنسان والكون".

8-- مصادر البحث ومراجعه:

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-بيروت ، ط1 ، 1998.
- تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ، بشير إبرير ، عالم الكتب الحديث ، إربد-الأردن ، ط1 ، 2007.
- التداولية اليوم علم جديد للتواصل ، آن ربول وجاك موشلر ، تر: سيف الدين عقوس ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت-لبنان ،ط1 ، 2003.
- البيان والتبين ،الجاحظ ، تح: حسن السندوبي ، دار المعارف ، تونس ، 1990 ، وطبعة أخرى تح: عبد السلام هارون ، مؤسسات الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت ، وطبعة أخرى ، تح: درويش جويدي ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت-لبنان ، 2003.
- تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ، آمنة بلعلى ، دارالأمل ، مدوحة- تيزي وزو ،الجزائر ، 2009 .
- دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-المغرب ، ط3 ، 2002.

-رؤية الجاحظ لنشأة اللغة وأهم أمراض اللغوية التي تصيب اللسان البشري-من وجهة مازن الوعر ، ابن شتوح عامر- مقال منشور بمجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربية والإنسانية ، جامعة بابل ، 2017.
- عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات الحجاج)، عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء-المغرب ،2004 .
-الحيوان ، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ،بيروت-لبنان ، 1996 ، وط3 ، 1968.
-التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 [1]
-ابن عربي ومولد لغة جديدة ، سعاد الحكيم ، دندرة — لبنان ، ط1 ، 1991.
-استراتيجيات التعليم ، حسن حشاته ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة-مصر ، ط4 ، 2016 .
-الإشارة والرمز عند محي الدين بن عربي ضمن كتاب اللغة والمعنى ، مقاربات في فلسفة اللغة ، دليل محمد بوزيان وآخرون ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2012.
-الأفق التداولي ،(نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية)، إدريس مقبول ،عالم الكتب الحديث ، إربد-الأردن ،2011 .
- فلسفة العقل(دراسة في فلسفة جون سيرل)، تر: صلاح إسماعيل ، دار قباء الحديثة ، القاهرة-مصر ،2007.
-التصور اللغوي عند الأصوليين ،أحمد عبد الغفار ، عكاظ ، ط1 ، 1981.
-العرفانية وبناء المعرفة ، عبد الرزاق عمار ، دار سحر ، تونس ، (دط)، 2014.
-العمل الديني وتجديد العقل ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-المغرب ، ط2 ،1997.
-الفتوحات المكية ، ابن عربي ، تح: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت —لبنان ، دط ، دت .
-اللمع ، الطوسي ، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، 1960.
-النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، محمد الصغير بناني ، دار الحداثة ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1987.
-بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، قدور رحماني(رسالة دكتوراء)، جامعة الجزائر ، 2006.
-فلسفة التأويل عند محي الدين بن عربي ، (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي)، نصر حامد أبو زيد ، ط1 ، 1983 .
-هكذا تكلم ابن عربي ، نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002.
-آليات التواصل عند ابن عربي ، لصالح بوترعة(رسالة ماجستير)، نوقشت يتاريخ 2008-2009 ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر.
- المعجم الصوفي ، سعاد الحكيم ، دندرة- لبنان ، ط1 ، 1981.

9-الهوامش والإحالات:

[1]- و"ابن عربي": والده علي بن محمد ، عربي النسب من سلالة حاتم الطائي ، عرف بالزهد والورع والفقه ، ولد ابن عربي بالأندلس بأسبانيا(560هـ-638هـ)، حفظ القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي على يد أبي بكر بن خلف فقيه أشبيلية ، وكان عمره آنذاك ثمان سنوات ، حصَّل العلوم وهو ابن العشرين ، واتجه إلى الخلوة والتصوف عام 580هـ-1184م ، قام برحلات عديدة في المغرب(تونس ، بجاية ، فاس...)، وكان تأليفه كتاب الفتوحات المكية بمكة الموسوعة العرفانية .... ويرجع سبب اتباعه للطريقة الصوفية لرؤية حصلت له وهو صغير ، كان آخر مقر له بمدينة دمشق ما بين فترة(597هـ-620هـ)، وقد لقي تكريما وحفاوة من الملوك آنذاك" كيكاوس ، الملك الظاهر" ، له

مصنفات عديدة زهاء مائتين وتسعة وثمانين بين كتاب ورسالة ، ارتحل عن الدنيا عام 638هـ ، تاركا كتاب الفتوحات المكية مجرة كونية من العلوم العرفانية. ينظر هذا التعريف: ابن عربي ومولد لغة جديدة ، دندرة – لبنان ، ط1991 ،1 ، ص 13-15 ، وينظر ايضا: هكذا تكلم ابن عربي ، نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002 ، ص29-33.

أما "الجاحظ" فقد ولد بالبصرة في العقد السادس ،من القرن الثاني للهجرة سنة:(150)أو(158)أو (160) وتوفي سنة 255هـ ، وقد شاهد حضارة الدولة العباسية في عنفوانها وتقهقرها ، وزامن العديد من الأحداث آنذاك ، مثل نكبة البرامكة ، والاعتزال المذهبي ، وقتل الخليفة المتوكل ، وغيرها من الأحداث ، له العديد من المؤلفات أهمها: الحيوان ، البخلاء ، الرسائل ، والبيان والتبيين ، وله مؤلف مفقود في نظم القرآن العظيم ، وعرف الجاحظ بدفاعه عن الأصول العربية ضد الشعوبية ، وانكب جهده على الدفاع عن النظم والكلام القرآني في مخالفته لكلام البشر... ؛ ينظر: النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، محمد الصغير بناني ، دار الحداثة ، بيروت-لبنان ، ط1987 ،1 ، ص25-43.

[2]- ينظر : دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-المغرب ، ط3 ، 2002 ، ص83.

[3]- البيان والتبيين ، الجاحظ ، ، تح: درويش جويدي ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت-لبنان ، 2003. 56/1.

[4]- تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ، بشير إبرير ، عالم الكتب الحديث ، إربد-الأردن ، ط1 ،2007 ، ص39-42.

[5]- ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-بيروت ، ط1 ، 1998 ص403-404.

[6]- ينظر: تعليمية النصوص ، بشير ابرير ، ص42-43.

[7]- ينظر : الحيوان ،481/1 ؛ نقلا عن النظريات اللسانية عند العرب ، محمد الصغير بناني ، ص90.

[8]- ينظر: النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، ص84.

[9]- ينظر : المرجع نفسه ، ص82.

[10]- ينظر: المرجع نفسه ، ص81.

[11]-النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، محمد الصغير بناني ، ص79.

[12]- تعليمية النصوص ، ص40-41 ، والبيان والتبيين ، 75/1 ، والحيوان ، 33/1.

[13]- للتوضيح أكثر ينظر: استراتيجيات التعليم ، حسن حشاته ، الدار المصرية اللبنانية ، ، القاهرة-مصر ، ط4 ، 2016 ، ص263-289 ؛ وفيه يبرز دور استثمار -الحواس الخمسة بالإضافة إلى ملكة الفهم والتفكير والتدبر وغيرها.

14- العرفانية وبناء المعرفة ، عبد الرزاق عمار ، دار سحر ، تونس ، (دط) ، 2014 ، ص151.

15- نفسه ، ص157.

[16]- ينظر: إستراتيجية التعليم والتعلم الحديثة ، حسن حشاتة ، ص 208-213.

[17]- إستراتيجية التعليم والتعلم ، حسن حشاتة ، ص63.

[18]-نفسه ، ص74-75-76.

[19]- ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص208-233 ، وينظر: الجاحظ ، الحيوان ، 380/4 عن الطبع ، وينظر: البيان 77/1 عن رواية الكلام.

[20]- ينظر: رؤية الجاحظ لنشأة اللغة وأهم أمراض اللغوية التي تصيب اللسان البشري-من وجهة مازن الوعر ، ابن شتوح عامر- مقال منشور بمجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربية والإنسانية ، جامعة بابل ، 2017.

[21]-الإشارة والرمز عند محي الدين بن عربي ضمن كتاب اللغة والمعنى ، مقاربات في فلسفة اللغة ، دليل محمد بوزيان وآخرون ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2012 ،ص 85-86 ، وحول مسألة نشأة اللغة ينظر على سبيل الفائدة: التصور اللغوي عند الأصوليين ،أحمد عبد الغفار ، عكاظ ، ط1 ، 1981 ، ص 40 وما بعدها.

[22]-العمل الديني وتجديد العقل ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-المغرب ، ط2 ،1997 ، ص165 ، وبخصوص التسمية ومفهومها عند الشيخ ينظر : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، سعاد الحكيم ، ، دندرة — لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص71-72.

[23]-ينظر حول هذه الفكرة وبنظرة تداولية معرفية:عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات الحجاج)، عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء-المغرب ،2004 ص45.

[24]-العمل الديني وتجديد العقل ، ص162.

[25]-ينظر: المعجم الصوفي ، دندرة- لبنان ،ط1 ، 1981 ، ص971-972 ، و ينظر: بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، قدور رحماني(رسالة دكتوراء)، جامعة الجزائر ، 2006 ،ص 162. وآليات التواصل عند ابن عربي ، لصالح بوترعة(رسالة ماجستير)، نوقشت يتاريخ 2008-2009 ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، ص80.

[26]-الإشارة والرمز عند محي الدين بن عربي ، ضمن مرجع ، اللغة والمعنى(مقاربات في فلسفة اللغة)، ص93.

[27]-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، ص221.

[28]-الفتوحات المكية ، تح: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت —لبنان ، دط ، دت ، ص305.

[29]- المقاصد الموضعية هي الناتجة عن المحتوى القضوي (مواضعات اللغة وتركيبها) وتتعلق بالأفعال الكلامية الصريحة المطابقة للقصد كالإخبار ، أمَّا المقاصد الإجمالية فهي استلزام ناتج من المعاني الأولى ، يتدخل في تشكيله السياق وشكل لخطاب اللغوي ، ذكر طه عبد الرحمن أنَّ الشروط التي اقترحها "سيرل" والمتعلقة بالأفعال الكلامية تخص جانب الجملة ، فنحتاج لفعل خطابي خاص بالنَّص وهو الأمر المستدرك من قواعد التخاطب لغرايس ، ومن جاؤوا بعده ، ينظر: اللسان والميزان ، ص260-264 ، وينظر: التداولية اليوم علم جديد للتواصل ، آن ربول وجاك موشلر ، تر: سيف الدين عقوس ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت-لبنان ،ط1 ، 2003 ، ص206.

[30]-المعجم الصوفي ، سعاد الحكيم ، ص923.

[31]- نستعمل عادة في البحث مقابلا أجنبيا للمصطلح العربي ، وليس هذا من قبيل المطابقة إنَّما على أساس معرفي هدفه توضيح أهم المصطلحات في المنهج التداولي.

[32]-المعجم الصوفي ، وسبب تسمية القلم الأعلى: أول مخلوق عقل عن الله ، والقلم هو محل التفصيل بالنسبة للمداد محل الإجمال(العلم)، والمداد هو حرف النون وهي الدواة ، وهذا المداد بدوره هو محل إجمال بالنسبة إلى اللوح المحفوظ (محل التفصيل)، ينظر: المعجم ص 924 ، وص1037 ، الفتوحات ، ج2 ، ص130.

[33]- ينظر: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ، آمنة بلعلى ، دارالأمل ، مدوحة- تيزي وزو ،الجزائر ، 2009 ، ص277.

[34]-الأفق التداولي ،(نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية)، إدريس مقبول ،عالم الكتب الحديث ، إربد-الأردن ،2011 ص132-133 ، والقصدية لجون سيرل ينظر: فلسفة العقل(دراسة في فلسفة جون سيرل)، تر:صلاح إسماعيل ، دار قباء الحديثة ، القاهرة-مصر ،2007 ، ص 246-247 ،والخلق هو ما يقصده بالتكليف فهناك من يمتثل للأمر والتوجيه وهناك من لا يمتثل.

[35]-الأفق التداولي ، ص133. والإنسان الكامل هو هدف المتصوفة ككلّ ، ينظر المعجم الصوفي حول الحقيقة المحمدية أيضا.

[36]- للوقوف على فائدة الشرح لهذا العنصر ينظر: فلسفة التأويل عند محي الدين بن عربي ،(دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي)، نصر حامد أبو زيد ، ط1 ، 1983 ، ص53.

[37]-اللمع ، الطوسي ، ص249. نقلا عن آليات التواصل عند ابن عربي ، ص80 ، وينظر المرجع نفسه بطبعة أخرى ، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، 1960 ، عن مراتب الكشف واليقين ص102.